فى أفق السياسة العالمية

اليونان بين الملكية والجمهورية

ورث الإغريق المحدثون فيما ورثوه عن أسلافهم القدماء ولوعاً بالحرية والاستقلال، وإيماناً قويًّا بالذاتية الفردية التى تجعل للفرد أو للمدينة كياناً مستقلا خاصا لا يحتمل ضما أو إدماجا فى وحدة أو وحدات أكبر وأوسع نفوذاً. ولقد كان لهذه الصفة الأخيرة أبلغ الأثر فى تكييف تاريخ هذه الأمة العريقة. فبينما نرى المصريين والفرس والرومان قد جمعوا شتات أقوامهم ووحدوا شمل بلدانهم وأنشأوا لهم فى التاريخ القديم دولا موحدة مترامية الأطراف كان الشأن الأول فيها للحكومة المركزية، إذا بتاريخ الإغريق القدماء يزخر ويزدهر بقيام دول شتى تلمع فيها عبقرية الأفراد ويعظم شأن المدن المستقلة، فينافس الجميع بعضهم بعضا فى إقامة أحسن النظم وأدناها إلى سعادة الإنسان وشحذ فكره وترقية ذوقه. ولم يكن الإغريق القدماء ليرضوا بديلا عن تلك الذاتية الفردية إلا إذا دهمهم من الخارج أو الداخل خطر يعرِّض كيانهم أو حرياتهم للضياع، كما حدث عندما هاجمتهم جحافل الفرس وأساطيلهم فى القرن الخامس قبل الميلاد، وحينئذ تتضافر جهودهم ويتناسون أحقادهم ويقفون جميعاً فى وجه المعتدى، كلهم للمجموع وأرض هيلاس للجميع. ولقد وحّد المقدونيون البلاد فترة فى عهد الإسكندر الأكبر، وأصبحت لهم دولة ترامت أطرافها إلى الهند وحدود الصين، ولكن سرعان ما استحالت إثر موت الإسكندر إلى دويلات مستقلة طوعا لطبيعة البلاد والناس.

وقد دعاهم حرصهم على ذاتيتهم وشدة تمسكهم باستقلالهم الفردى أن يشن بعضهم على بعض حروبا أهلية، عرفت أكبرها فى التاريخ القديم بحرب بيلوپونيز، وظلت مستعرة بينهم قرابة سبعة وعشرين عاما، لا لسبب سوى أنهم آنسوا من أثينا ميلا للطغيان وبسط نفوذها على سائر المدن الإغريقية المستقلة، وحرمانها تلك الذاتية الفردية التى قدّسها الإغريق قديماً، وكانت

فى تاريخهم الحديث مصدر شقاوتهم واضطراب أحوالهم إلى الآن .

ولقد كان يظن أن رزوح اليونانيين تحت نير الأتراك زهاء أربعة قرون منذ فتحها العثمانيون فى القرن الخامس عشر إلى قرب منتصف القرن التاسع عشر ، قد غيّر من طبائع هذا الشعب وبدّلهم بحب الحرية والذاتية الفردية خضوعا للغاصب واستسلاما لطبائع الاستبداد ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ؛ فإن الأتراك العثمانيين لم يكونوا يوما مستعمرين متسلطين ، بل كانوا رغم تفوقهم العسكرى قوما كسالى ، لا همّ لهم إلا جمع القوت والمال لإشباع بطونهم وبطون رؤسائهم فى القسطنطينية ، فتركوا أهل اليونان أحراراً يوزعون الضرائب بينهم ، أحراراً فى كنائسهم وفى مدارسهم ، لهم رؤساؤهم الروحيون والمدنيون ، والكثرة الغالبة منهم يعيشون عيشة الفاقة والقناعة على ما تنتجه بلادهم المجدبة التى تكتنفها سلاسل الجبال الشاهقة ، فتجعل الزراعة والمواصلات والسعى إلى كسب الرزق عملا بالغاً منتهى الشدة والمشقة .

ولما كان الأتراك يزاولون سلطانهم عادة فى المدن بسند من عساكرهم وحامياتهم ، وجد اليونانيون الأحرار ملاذاً لحريتهم بين مسالك الجبال ومفاوزها ، واتخذوا من كهوفها ووهادها مراكز لعصاباتهم تحصنوا فيها ، وكانت لهم أوكار يكرون منها ويفرون ، ومنها ينقضّون ليلا على الأتراك وعلى أهل المدن والسهول من الموسرين الموالين للحكام ، يسلبونهم متاعهم وينكلون بهم ويقتلونهم خفية ، ثم يعودون من غزواتهم غانمين آمنين ، فلا الأتراك بمستطيعين أن يصلوا إلى مراكز هذه العصابات ، ولا اليونانيون قادرون على إفشاء سر إخوانهم أو مخالفة أوامرهم . وشبيه برجال العصابات أهل الجزر المنتشرة فى بحر إيجه ؛ فقد كان لتركيا أساطيل وقواد بحريون ، ولكنهم كانوا لا حول لهم ولا قوة أمام ملاّحى اليونان وقرصانهم من أهل الجزر الذين سيطروا على حركة الملاحة والتجارة ، فبنوا السفن والأساطيل وسلّحوها خفية ومخروا بها عباب البحار إلى مختلف ممالك أوربا . وقد أفادوا كثيراً من الحصر البحرى الذى أعلنه نابليون على الجزر البريطانية وأعلنته انجلترا على قارة أوربا . ومثل أولئك وهؤلاء كان القساوسة والرهبان من رجال الكنيسة الأرثوذكسية الذين اتخذوا من امتيازاتهم الدينية ستاراً أسدلوه على نشاطهم الاجتماعى والسياسى ، فكانوا يجوبون الهضاب والقفار والأودية ويطوفون على القرى ومراكز العصابات

يواسون الفقراء ويضمدون جراح المرضى والمساكين، ويذكّرون الناس جميعاً بمجد الدولة البيزنطية القديمة، ويبشرونهم باقتراب يوم الخلاص والنشور!

وعلى أكتاف هذه العناصر الثلاثة قامت الثورة ضد الأتراك فى سنة ١٨٢١، واشتعلت حرب استقلال اليونان واستمرت زهاء عشر سنوات بين مد وجزر ونصر وخذلان، حتى تدخلت الدول، وتقدمت روسيا تحارب تركيا فى سبيلهم وتقف أمام القسطنطينية تخيّر الأتراك بين تحرير اليونان أو ضرب العاصمة. فلم يسع تركيا سوى الإذعان للقوة، وأقرت الدول فى سنة ١٨٣٠ استقلال اليونان وانسلاخها عن تركيا.

وكأنّ خروج اليونانيين بعد أربعة قرون قضوها فى ظلمات الاستبداد والاحتلال الأجنبى إلى نور الحرية والاستقلال قد غشّى أبصارهم فجعلهم يتعثرون ويتخبطون فى مزالق السياسة، فما كادوا يتمتعون باستقلالهم حتى ظهرت عليهم أعراض الذاتية الفردية وطغت بينهم الأحقاد، واتسعت هوة الخلف بين أهل الجبل وأهل السهل، فعمت الفوضى، وراحوا يزجون فى السجون زعماءهم ويقتلون كابو دستريا أول رئيس لجمهوريتهم التى أعلنوها سنة ١٨٢٧. وكان كابو وزيراً لخارجية روسيا واختاره اليونانيون رئيساً لهم؛ فلم تمض إلا سنوات ثلاث حتى قتلوه لأرستقراطيته وجوره. وعند ذلك قررت انجلترا وفرنسا وروسيا أولياء أمر اليونان أن يوضع حد للمنازعات الداخلية بإعلان الملكية، واختاروا لتاجها الأمير أتّو بن ملك بڤاريا، فسار على غير هوى اليونانيين ولم يكن له عقب، فأقالوه سنة ١٨٦٢ واختاروا بدله الأمير چورچ الدنمركى. وقد مهدت بريطانيا الطريق أمام الملك الجديد بأن نزلت لليونان عن جزر الأيونيان. وكانت هذه الجزر تتمتع منذ سنة ١٨١٥ بحكم ذاتى تحت سيادة بريطانيا، فانجذب الشعب اليونانى نحو الملك الجديد وتوطد مركز الملكية بفضل ارتباطها بأواصر النسب مع أكبر تيجان أوربا إذ ذاك؛ فقد كان الملك چورچ الأول متزوجاً بأميرة روسية، وكانت شقيقته زوجة ولى عهد انجلترا وهو الذى اعتلى العرش بعد والدته الملكة ڤيكتوريا باسم الملك إدورد السابع، وقد تزوج ابنه وولى عهده قسطنطين من أميرة ألمانية كانت شقيقة إمبراطور ألمانيا وليم الثانى.

وفى ١٨ مارس سنة ١٩١٣ قتل الملك چورچ الأول فى سلانيك، قتله إغريقى

فوضوى . وكان جورج حاكما معتدلا ، زادت فى عهده رقعة البلاد وترامت حدودها ، فضمت جزيرة كريد سنة ١٩٠٩ . ولما قامت الحرب البلقانية ضد تركيا ١٩١٢ — ١٩١٣ وانتهت بهزيمة تركيا ، امتدت حدود اليونان شمالاً إلى مقدونيا وشرقاً إلى تراقيا وغرباً إلى أبيروس جنوبى ألبانيا ، وبذلك تضاعفت مساحة البلاد ، وزاد عدد سكانها بمقدار مليونى نفس تقريباً . على أن طريق الملكية فى اليونان لم يكن سهلا معبداً ، بل على العكس ظلت البلاد تعانى بسبب فقر الشعب وانقساماته وتقلباته متاعب وأزمات كثيراً ما عصفت بالحكومات وكادت تذهب بآثار الملكية إلى غير رجعة . ولم يكن فى هذا كله أمر يدعو إلى الدهش والغرابة إذا أدركنا أنه ، رغم انقضاء أكثر من مائة عام على تمتع اليونان الحديثة باستقلالها ، لاتزال شؤون البلاد الداخلية : دستورها ونظام الحكم فيها مثار خلافات بل حروب أهلية إلى الآن . ففى أثناء هذا القرن اغتال اليونانيون رؤساءهم وملوكهم وشرّدوهم أكثر من مرة ، وأنشأوا حكما جمهوريًّا ، وأقاموا دكتاتوريات عسكرية مرة تلو أخرى . وما كانت هذه التغيرات لتتم عادة إلا مصحوبة بحركات ثورية أو تمردية وحروب أهلية تراق فيها الدماء ، وتطاح فيها رؤوس القادة والوزراء ، ويصاب فيها الأهلون أخيراً بأفدح المظالم والمغارم .

وكان أفدح ما منيت به اليونان الحديثة من خلاف داخلى فى أثناء الحرب العالمية الأولى ؛ إذ كان الملك قسطنطين مواليا لصهره إمبراطور ألمانيا ، وكان رئيس حكومته الزعيم الشعبى ڤينزيلوس يناصر الحلفاء فلما قرر الحلفاء إرسال حملة غاليبولى لمحاولة اقتحام المضايق والاتصال بروسيا عن طريق البحر الأسود ، كان مما يساعد على نجاح الحملة أن تقف اليونان إلى جانب الحلفاء ، فلما تعذر إقناع قسطنطين ترك ڤينزيلوس الوزارة وأعلن على الملأ تأييده لقضية الحلفاء ، ودعا اليونانيين إلى الالتفاف حوله فى سياسته ، فاستجاب جانب كبير من الشعب لندائه ، وأقام فى سلانيك حكومة وطنية ما لبث الحلفاء أن اعترفوا بها . وعلى ذلك بدت اليونان أمام العالم كله أمة منقسمة على نفسها ، يحكمها من أثينا ملك محايد يميل إلى دول الوسط ، ومن سلانيك رئيس متمرد على الملك يناصره الحلفاء ويناصرهم بقواته التى جمعها من بين أفراد الشعب التعس . وأخيرا لم ير الحلفاء

بدءا من إقصاء الملك المعارض، فقرروا إقالته سنة ١٩١٧، فغادر البلاد ومعه ابنه الأكبر چورچ؛ إذ كان الابن كأبيه متأثرا بالثقافة الألمانية ومؤيدا لسياستها، وأقاموا على عرش اليونان الابن الأصغر باسم الملك إسكندر، وأصبح ڤينزيلوس رئيسا للحكومة، فدخلت اليونان الحرب وساهمت فى النصر إلى جانب الحلفاء بما يقرب من ربع مليون جندى. ومات الملك الشاب فى سنة ١٩٢٠ إثر عضة من قرد.

وعلى الرغم من أن ڤينزيلوس قد مثل اليونان فى مؤتمر الصلح فى باريس وكسب لنفسه ولأمته مزايا ومنزلة قصرت عن إدراكها دول كانت أعظم من اليونان شأنا وأكثر مالا وأعز نفرا، فإن اليونانيين ما لبثوا أن انقلبوا على زعيمهم الذى استسلم للحلفاء وجعل بلاده لهم مطية ذلولا استخدموها فى تحقيق مآربهم، فلما استفتى الشعب قرر عودة الملك قسطنطين. وكانت اليونان إذ ذاك تحاول هضم اللقمة الدسمة التى سخا مؤتمر الصلح فى سيڤر باقتطاعها لها، فكان نصيبها منطقة أزمير وتراقيا الشرقية وجزر بحر إيجه ما عدا الدوديكانيز. وكانت قد ظهرت فى ذلك الوقت حركة النهضة التركية الكمالية، فلم يكن بد من اصطدام قوات الشعبين، فوقفت الحكومة الإنجليزية من وراء اليونان تؤيدها، ووقفت فرنسا وإيطاليا تؤيدان الكماليين سرا وعلانية. وأخيرا تولى قسطنطين قيادة جيشه، فدُحر اليونانيون فى معركة سقاريا الحاسمة وباءوا بخزى عظيم، فقد طاردهم الأتراك حتى قذفوا بهم إلى البحر. ونزل قسطنطين عن عرشه وفر إلى إيطاليا، ومالبث أن مات سنة ١٩٢٣ وخلفه ابنه الملك چورچ الثانى. ولكن الهزيمة التى منيت بها اليونان على يد الأتراك فى الأناضول كانت قاصمة الظهر وبالغة الخطر، فزيادة على ما أصاب اليونانيين من خسائر مادية وأدبية رأى الأتراك أن الفرصة سانحة للقضاء على مشكلة أقلية الأروام فى بلادهم، فقرروا انتزاعهم من جذورهم وترحيلهم بقضهم وقضيضهم إلى بلادهم الأصلية مقابل نقل الأتراك المسلمين الذين كانوا يعيشون فى تراقيا والمورة إلى تركيا. ومعنى ذلك أن اليونانيين المنهزمين الذين لا يرزقون أقواتهم إلا بشق الأنفس كان عليهم أن يقبلوا بين ظهرانيهم مليونا ونصف مليون من المهاجرين الأروام الذين نسوا بلادهم وعاشوا قرونا طويلة فى الأناضول وتركيا. وإذا عرفنا أن سكان اليونان آنئذ لم يكونوا ليزيدوا على ستة ملايين إلا قليلا أدركنا فداحة المصيبة التى منيت بها البلاد من الوجهة الاقتصادية. أما الأتراك الذين هاجروا من اليونان

فلم يزيدوا على نصف مليون نفس . ولكن هذا التبادل فى الأقليات بين تركيا واليونان رغم ما صحبه فى التنفيذ من آلام وشدائد ، كان أوفق حل لمشكلة الأقليات ، وقد انتهت بأن أقامت بين الدولتين روابط صداقة وحسن جوار كانت عاملا قويا فى إعلان ميثاق البلقان سنة ١٩٣٤ ، وربط الشعبين المتجاورين التركى واليونانى بأقوى الصلات وأوثقها فى العصر الحديث .

ولقد كان من جراء هزيمة اليونانيين بقيادة الملك قسطنطين أن ضعف شأن الملكية فى اليونان وضؤل خطرها ، فأعدموا ستة من الوزراء والقواد الملكيين ، وأثاروا بفعلتهم هذه النكراء سخط العالم المتمدن فى جميع أنحاء العالم . ولم يمض عام على اعتلاء الملك جورج الثانى عرش اليونان بعد وفاة أبيه حتى اتهموه بتدبير ثورة ضد النظام القائم ، وأرغموه على النزول عن العرش ، وأعلنت الجمهورية سنة ١٩٢٤ وظل الزعيم الشعبى فينزيلوس رئيسا للحكومة يعمل جهده لرأب الصدع وإعادة الثقة بالدولة بعد أن خفت موازينها إثر اندحارها أمام الأتراك وانحدارها إلى مستوى الوحشية لإعدامها ستة من وزرائها وقوادها رميا بالرصاص . وكان فينزيلوس يقضى معظم أيامه بعيدا عن بلاده فى فرنسا أو متنقلا ، بين العواصم لقضاء مهمات دولية ، فترك أنصاره يسيئون الحكم فى البلاد حتى إذا كانت سنة ١٩٢٦ انقلب الرأى العام ضد فينزيلوس وقامت فى البلاد دكتاتورية عسكرية برياسة بنجالوس فغادر فينزيلوس البلاد إلى فرنسا ، وظل بها حتى دفعه غروره وحبه للمخاطرة إلى إشعال فتنة حربية بحرية فى سلانيك سنة ١٩٣٥ ، فانبرى لهم الجنرال كنديلس ، وقضى على الفتنة قبل أن تستفحل ، وأقام دكتاتورية عسكرية مالبثت أن مهدت الطريق لعودة الملكية سنة ١٩٣٦ . وقد مات كنديلس وفينزيلوس وتسالداريس وهم أكبر زعماء اليونان ، وبذلك صفا الجو لجورج الثانى .

ولما عاد الملك جورج الثانى إلى عرشه أعلن أنه إنما يعود استجابة لصوت الشعب كله ، وسار فى حكمه سيراً معتدلا حكيما راسماً طريقه وسطاً بين الملكيين ومعارضيهم ، فاستقرت الحال نوعاً داخل البلاد . ولكن لسوء حظه مات رئيس حكومته وخلفه وكيله الجنرال متكساس ، وكان متأثراً بالثقافة الألمانية موالياً للألمان نازعاً فى حكمه منزع الدكتاتوريين . رأى متكساس أنه لا أمل فى إصلاح حال البلاد واستقرار أمورها ، مادامت الخلافات الحزبية تملك على الناس مشاعرهم

ونشاطهم ، فقرر إقامة حكمه وفق الأصول الدكتاتورية المعروفة فى ذلك الوقت ، ووجد متكساس من الملك سنداً ونصيراً له ، فألغى الأحزاب ، وكمم الصحافة ، وقيد الحريات ، ونفى وشرد أعداءه ومناهضيه ، وجعل نفسه رئيساً للوزارة مدى الحياة ، وبذلك رفعت الفاشية فى اليونان رأسها ، وأصبح نظامها فى نظر الشعب مقترناً باسم الملك جورج الثانى .

ولما قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ أعلنت اليونان حيدتها ، وبرهن متكساس رئيس وزرائها على أنه سياسى وطنى مصلح ؛ إذ سار قدُماً فى إصلاحاته الحربية والاقتصادية . حتى إذا ما تشجع موسولينى عقب اندحار فرنسا ، وأعلن الحرب على اليونان فى أكتوبر سنة ١٩٤٠ ، وجد من اليونانيين شعباً صعب المراس متحداً مدرباً على حرب العصابات خبيرا بدروب الجبال ومسالكها ، وسرعان ما استرعى العالم انتصار هذا الشعب الصغير الفقير على جحافل موسولينى الذى طالما تشدق بجيوشه ولمعان أسنته التى قال عنها : إنها متى ارتفعت حجبت شعاع الشمس عن أعين البشر !

ومات متكساس فجأة سنة ١٩٤١ وهو مزهو بانتصار بلاده فى أول الأمر ، ولكن هتلر لم يصبر طويلا على أذية صاحبه ، فسرعان ما تحركت كتائبه وعُدده وطائراته ، وجاءت على عجل بعد أن اكتسحت يوغسلافيا ، واخترقت بلغاريا . ووصل المدد إلى اليونان من بريطانيا ، وهى فى محنتها تنفردها أمام الخطر النازى . ومع ذلك لم يثبت اليونانيون إلا أياماً معدودة ، فهاجر الملك وحلفاؤه إلى كريت ، ثم أفاق العالم صباح يوم فرأى الألمان قد احتلوا كريت بعد هجوم جوى خاطف لم يسبق له مثيل ، ففر الملك جورج وحكومته من الجزيرة سرًّا بعناء ومشقة إلى مصر . وبذلك بدأ الملك منفاه لثالث مرة .

ولما احتل الألمان البلاد تألفت بها سرًّا ، كما تألفت فى سائر البلاد التى احتلها العدو عنوة ، جماعات للمقاومة ، كان فى مقدمتها عناصر شيوعية استطاعت أن تنمو وتقوى سرًّا فى عهد متكساس ، وأصبحت فى عهد الاحتلال مأوى لجميع العناصر المناوئة للألمان . وأخذت مراكز المقاومة تقوى وتكبر تدريجاً متخذة كهوف الجبال ووهادها مراكز لنشاطها وتدريبها . ولم تكن هذه الفئات فى أول أمرها شيوعية خالصة ، كما أنه لم تكن لها صلة البتة بالشيوعيين الدوليين ، ولكن

ما كادت ألمانيا تعلن الحرب على روسيا حتى زاد نشاط هذه الفئات ، وجعلت تعمل بهمة على إحباط مساعى الألمان ، وإثارة الشعب بين العمال فى المصانع والمعامل لإلحاق الضرر بالألمان وجهودهم الحربية . وبلغ عدد المنضوين تحت لواء جماعة المقاومة من الشيوعيين ما يقرب من ربع سكان البلاد .

وإلى جانب العناصر الشيوعية ظهرت جماعات أخرى للمقاومة ، وأهمها الهيئة التى كان يرأسها الكولنيل زرفاس . وكانت هذه الهيئة تلقى المعونة من الحلفاء ومن الحكومة المنفية ، وكان الخلاف بين جماعات المقاومة المختلفة بالغاً منتهاه ، مما اضطر الحلفاء أن يتدخلوا فى الأمر . وكان من واجب الحلفاء طبعاً أن يتصلوا سرًّا بهذه العناصر جميعاً للاتفاق معها على خطط المقاومة وطرق تنفيذها . وسرعان مابدا للحلفاء أن الهيئة الشيوعية قد أخذت تتفوق على غيرها وتسيطر على الحالة الداخلية ، فعملوا سرًّا على مساعدة الجماعات المعتدلة ، وأعلنوا فى الوقت نفسه أنه يهمهم أن يتفق الجميع ضد العدو ما دامت الحرب مستعرة ، ثم ينظر بعد ذلك فى تسوية الخلافات بينهم .

والهيئة الشيوعية هى التى أصبحت تعرف بجماعة إيام E.A.M. أو جبهة التحرير الوطنية ، وكانت أقوى جماعات المقاومة وأدقها تنظيماً ؛ إذ كان لكل شعبة رئيس من الضباط السابقين ، ومستشار سياسى بيده زمام الشعبة ، وكان غالباً من الشيوعيين .

وقد أصابت هذه الهيئة غنما كبيرا منذ أن استسلمت إيطاليا فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ ؛ إذ وقعت أسلحتها وذخيرتها غنيمة فى يد هذه الجماعة . ومن سوء حظ الملك جورج الثانى أنه وأعضاء حكومته لم يتصلوا فى أثناء الاحتلال بهذه العناصر ولم يحاولوا استمالتهم إلى جانبهم ، كما أنهم لم يستنكروا نظام متكساس الفاشى أو يبرئوا أنفسهم من أدرانه فى نظر الشعب ، بل إنهم تركوا بعض أنصارهم فى اليونان ينخرطون فى سلك الاحتلال الأجنبى ويتعاونون مع الغاصبين . وقد نجح المحتلون فى استغلال هذا الموقف ، فدقوا إسفينا عميقا بين طبقات الشعب المختلفة ، فصوروا أنصار المقاومة شيوعيين يعملون لصالح حكومة السوفيت ، فكان طبيعيا أن ينحاز أعداء الشيوعية إلى جانب المحتلين الذين يقاتلون الشيوعية ، وضاع بذلك شرف الكفاح فى سبيل تحرير الوطن .

ولما استفحل الخلاف بين جماعات المقاومة بعضها وبعض ، وبين هيئة إيام

وحكومة المنفى حتى وصلت الحال إلى تمرد بعض القوات البحرية والحربية ضد ضباط من الملكيين ، خشى الحلفاء مغبة ذلك الانقسام ، فنظموا مؤتمرا فى لبنان جمع ممثلى الهيئات المختلفة ، واتفق الجميع على تكوين جبهة متحدة وحكومة ائتلافية ، تألفت أخيرا وكان من بينها ستة وزراء من هيئة إيام . وهذه الحكومة برياسة باباندريو هى التى تسلمت زمام الحكم فى اليونان بعد ارتحال الألمان منها فى سبتمبر ١٩٤٤ . وقد اتفق الرأى نهائيا على أن يستفتى الشعب فى عودة الملك بعد أن كان الملك ومن ورائه الحكومة البريطانية يعارض فى ذلك أشد المعارضة . وسارت الأمور فى أول الأمر سيرا حسنا إلى أن قررت الحكومة تسريح جميع هيئات المقاومة . وفطن جماعة إيام أنهم المقصودون بذلك ، فعارضوا وطالبوا بأن تسرح أيضا جميع القوات التى ناصرت حكومة الملك فى الداخل ومن الخارج . ثم استقال الوزراء الشيوعيون وبدأ الشغب . وسرعان ما قامت الحرب الأهلية فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ بين جماعة إيام والعناصر الحكومية الملكية ، وعادت إلى البلاد ذكريات الكفاح بين « الجبل » و « السهل » فى أوائل عهد الاستقلال ، وظلت الحرب خمسة أسابيع عانى فيها اليونانيون أهوالا من القسوة والفظاعة لا عهد لهم بها ؛ إذ كان الجانبان مجهزين بأحدث أنواع الأسلحة والذخيرة التى تخلفت عن الحرب الأخيرة . ولو لم تتدخل الجنود البريطانية التى صاحبت الحكومة عقب خروج الألمان لمساعدتها فى تأييد النظام وتوزيع الغذاء لانتهت الحرب سريعا بانتصار هيئة إيام لأنها كانت الهيئة المسلحة القوية فى البلاد . ولكن معاونة انجلترا كانت فى الواقع كسبا لعناصر النظام والاستقرار . ولو ترك الأمر لهيئة إيام لتقوض النظام من أساسه .

ولما اشتد النكير على الحكومة الإنجليزية فى البرلمان وفى الصحف لمسلكها إزاء الثورة فى اليونان ، طار إلى أثينا مستر تشرشل ومعه وزير خارجيته مستر إيدن واجتمعا وسط دوى المدافع مع ممثلى الهيئات المختلفة وفرروا إسقاط الحكومة وإقامة نائب للملك ، واختير لذلك المطران دامسكينوس ، كما تقرر استفتاء الشعب بشأن عودة الملك جورج الثانى إلى عرشه بعد ثلاث سنوات أى فى سنة ١٩٤٨ . وقد دلت الانتخابات التى أجريت بعد ذلك على ميل الشعب نحو الملكية ، ووليت الأعمال حكومة موالية للملكية ، فقررت إجراء

الاستفتاء فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ . وقد جاءت النتيجة مؤيدة لعودة الملك جورج الثانى بأغلبية بلغت نحو ٧٥ ٪ من مجموع الناخبين .

ولا تزال القوات الإنجليزية تحتل البلاد رغم الشكوى التى تقدمت بها روسيا وحلفاؤها إلى مجلس الأمن فى العام الماضى ؛ فقد انتهت المناقشة بأن البريطانيين باقون فى البلاد بموافقة الحكومات التى تعاقبت على الحكم بعد انتهاء الاحتلال الألمانى ، وأنهم باقون إلى أن يستقر النظام فى البلاد بعد إجراء الانتخابات واستفتاء الشعب بشأن عودة الملك جورج . وقد تم هذا فى سبتمبر الحالى ، وسيعود الملك قريبا إلى عاصمة ملكه ، وحينئذ لا بد أن تجلو القوات الإنجليزية عن البلاد .

ومع أن انتهاء الحرب الأهلية بانتصار العناصر الحكومية قد أضعف من شأن هيئة إيام وقلل من خطرها ، فإن الانشقاق القديم الذى فرق بين السهل والجبل ، وبين الحقل والمصنع ، أو بين اليمين واليسار ، لا يزال باقيا ، وسيبقى ما دامت طبيعة الأرض والبشر فى اليونان على حالها . ولا خطر من هذا الانشقاق إذا سارت الملكية على منهاج قومى لا تميل فيه إلى اليمين كل الميل ولا إلى اليسار دائما ، بل تأخذ بين هذا وذاك سبيلا . ومن الحصافة أن يجعل ملوك الدول الديمقراطية الحكم مناوبة بين اليمين واليسار مهما تباينت الأمزجة واختلفت المبادئ ، حتى لا تطغى كفة على أخرى ، وحتى لا ينزل التاج إلى درك المنافسات الحزبية .

وتواجه اليونان بعد الاحتلال الأجنبى الذى دام أكثر من ثلاث سنوات مشاكل عدة على جانب عظيم من الأهمية ؛ ففضلا عن المسائل الاقتصادية هناك المشاكل الخاصة بجارتيها بلغاريا وألبانيا ، وكل منهما يسير على نهج اشتراكى موافق رغبات حكومة السوفيت الروسية . والأولى تريد تحقيق حلمها القديم بإيجاد منفذ لها على بحر إيجه تطلع منه على مياه البحر الأبيض المتوسط . ولا سبيل إلى الحصول على هذا المنفذ إلا إذا نزلت لها اليونان عن أحد موانيها على بحر إيجه . وتطمع بلغاريا فى أخذ ميناء دده غاج إذا امتنعت عليها سلانيك . أما ألبانيا فتطالب بضم الجزء الجنوبى من أبيروس . وجميع هذه المسائل معروضة أمام مؤتمر الصلح المنعقد الآن فى قصر لكسمبورج بباريس .

وقد تقرر أخيراً إتمام الوحدة الإغريقية بضم جزر الدوديكانيز بما فيها

جزيرة رودس ، وكانت جميعها بيد إيطاليا منذ قيام حرب طرابلس سنة ١٩١١ . وقد حاولت روسيا احتلالها جميعها أو احتلال بعض منها لاتخاذه قاعدة لها فى شرق البحر الأبيض المتوسط فلم توفق . وعلى ذلك لايبقى خارج الحظيرة اليونانية سوى جزيرة قبرص ، وهى بيدانجلترا منذ سنة ١٨٧٨ . ولا يبعد أن تتخلى عنها بريطانيا لليونان متى توطدت أركان السلام فى العالم ، واضطلع مجلس الأمن فعلا بمهام أعماله .

وهناك غير المشاكل الإقليمية الحالة الفكرية أو الإيديولوجية ؛ إذ تسود بلاد البلقان الآن موجة شيوعية قوية قدغطت وجه شبه الجزيرة ، وذلك بسبب تفوق روسيا الحربى ، ولشيوع الفقر والجهل والبطالة بين جميع الشعوب التى تسكن هذه الأرجاء . ومما له دلالة واضحة على تطور الحالة الفكرية تخلص يوغسلافيا وألبانيا وبلغاريا على التوالى من حكوماتها الملكية وإقامة النظم الجمهورية الاشتراكية بدلها . وليس فى البلقان الآن حكم ملكى إلا فى رومانيا ، وحكومتها إلى الآن موالية لروسيا . أما تركيا فهى كحليفتها اليونان تقف إلى جانب الحلفاء وتناصر المبادئ الديمقراطية ، وهى كاليونان أيضاً تخشى على استقلالها وحرياتها من تدخل السوفيت أو توابعها .

ومركز بلاد اليونان من الوجهة الدولية شبيه تماما بمركز تركيا ، فكلتاها تحتكم فى نقط استراتيجية غاية فى الأهمية بالقياس إلى شرق البحر المتوسط وسلامة أراضيه . وقد برهنت الحرب الأخيرة على أن فى الشرق الأوسط نقطة التحول بين الهزيمة والنصر ، فمن كان بيده مفاتيح هذه المنطقة تدانت له أسباب الفوز والنصر . لذلك كان هذا التنافس الشديد الذى نلحظه الآن بين الدول الكبرى بشأن الشرق الأوسط . واليونان رأس الرمح بالنسبة إلى الجانبين المتنافسين المتراشقين . فإذا لم تجد حكومة اليونان الملكية حلولا عاجلة لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ، فإن الشيوعية ستبيض وتفرخ فى أوكارها بين كهوف الجبال ووهادها ، وهناك تستنيم فترة إلى أن تحين ساعة يعود فيها الكفاح من جديد بين السهل والجبل — بين الملكية والجمهورية .

محمد رفعت